ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد:06 العدد: 03(2021) ص 295-307

التحالف الاستراتيجي الصيني – الروسي كقوى مُوازنة في مواجهة النظام الأحادي القطبية وتوطين نظام عالمي متعدد الأقطاب

The Chinese-Russian Strategic Alliance as a Counterbalance to the Unipolar System and a path towards a Multipolar World

شريفة كلاع
جامعة الجزائر 3 (الجزائر)
cherifaklaa@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
26 افريل 2021
تاريخ القبول:
25 ماي 2021

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التحالف الاستراتيجي
- ✓ الصين
- ✓ روسيا

الملخص:

يحاجج البحث في إمكانية تشكل عالم متعدد الأقطاب في ظل تراجع القوة والهيمنة الأمريكية العالمية، وذلك من خلال التطرق إلى موضوع التحالف الاستراتيجي الصيني الروسي كقوى مُوازنة واللتين تسعيان بشكل حثيث من أجل مواجهة الهيمنة الأمريكية والنظام الأحادي القطبية وتوطين نظام عالمي متعدد الأقطاب، لذلك سيتم التطرق إلى عودة العلاقات الصينية الروسية وبوادر منظوراتهما ورأيتهما المشتركة حول التوافق بتشكيل نظام عالمي متعدد الأقطاب، وكذا مختلف السياسات التي تم اعتمادها من طرفهما من أجل تشكيل نظام دولي متعدد الأقطاب، وقد خلص البحث إلى أن ذلك متوقف على مختلف الرهانات والأحداث العالمية على غرار الحرب التجارية الأمريكية الصينية ونواتجها، ومُخلفات أزمة جائحة كورونا، وكذا الأمر الخاص بمن سيكون الرئيس القادم للولايات المتحدة الأمريكية.

Article info

Received
26 April 2021
Accepted
25 May 2021

Keywords:
- ✓ *Strategic alliance*
- ✓ *China*
- ✓ *Russia*

Abstract :

This study argues that the creation of a multipolar world amid the relative decline of the U.S. global power is a likely prospect, based on several indications, including the establishment of significant strategic alliances between major non-western powers like that between China and Russia. China and Russia are working together as strategic allies to both, counter the U.S. preeminence and pave the way for a desired multipolar world that best serves their national interests. In this paper, the development of the Chinese-Russian relationships, their common strategic perspectives, as well as the policies they have embraced to achieve this goal are examined and analyzed. In the end, the paper affirms that this prospect largely depends on the outcomes of various global events, such as the U.S.-Chinese trade war, the Covid-19 pandemics, and the internal politics of the United States, particularly on who will be the next U.S. president.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1. مقدمة:

شهد النظام الدولي تحولات مختلفة خاصة في القرن الواحد والعشرين والأشهر المتبقية من العقد الثاني منه، من بينها العودة الروسية لمكانتها الدولية وبروز الصين كقوة الاقتصادية في ظل ظهور بوادر لضعف الهيمنة الأمريكية على العالم وتراجع قوتها نتيجة تورطها في حروب ذات الأخطاء المتكررة، وزيادة الإنفاق العسكري وتأثير الأزمة المالية التي ساهمت بشكل كبير في التراجع التاريخي للولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي استغلته كل من الصين وروسيا المتطلعين إلى إقامة نظام عاملي متعدد الأقطاب لا يثنى في أحد، ولذلك تشكلت لديهما روى بوجوب إقامة تحالف استراتيجي في مواجهة النظام الأحادي القطبية وتوطين نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب لا تتفرد فيه الولايات المتحدة الأمريكية بالزعامة الدولية، حيث وظفت في ذلك رؤية جيوسياسية صينية - روسية ذات نهج أكثر واقعية في تحركاتهما الإقليمية والعالمية، من أجل فرض الأمر الواقع وتحقيق النفوذ والمكانة الهامة على المستوى الدولي.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة تحليلية تحاول الإلمام بالموضوع المدروس، وذلك من خلال تبيان واقع ومؤشرات عودة العلاقات الصينية الروسية وبوادر تشكل رؤيتيهما المتوافقة حول تشكيل عالم متعدد الأقطاب، وكذا التعرف على مختلف السياسيات المعتمدة من قبل القوتين اللتين لا يستهان بهما في القرن الواحد والعشرين من أجل السعي لتشكيل وتوطين نظام عالمي متعدد الأقطاب، ودحر الهيمنة الأمريكية على العالم والتي هي الآن في أضعف مراحلها .

إشكالية البحث :

تكمن أهمية هذا البحث في الإجابة على مجموعة التساؤلات المتعلقة أساسا بموضوع "التحالف الاستراتيجي الصيني – الروسي كقوى مُوازِنة في مواجهة النظام الأحادي القطبية وتوطين نظام عالمي متعدد الأقطاب"، وذلك من خلال طرح الإشكالية الرئيسية والمتمثلة فيما يلي: هل يخلق التحالف الاستراتيجي الصيني الروسي نظاما عالميا متعدد الأقطاب؟

فرضية البحث:

*تعتمد كل من روسيا والصين على سياسات براغماتية في تحالفهما، للسعي معا إلى إعادة تشكيل نظام عالمي جديد تتشاركان فيه القيادة إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية.

منهج البحث: تم الاعتماد في هذا البحث على توليفة من المناهج، كالمنهج التاريخي والوصفي التحليلي وكذا الإحصائي والتي تخدم موضوع البحث.

عناصر البحث: سيتم معالجة موضوع: "التحالف الاستراتيجي الصيني – الروسي كقوى مُوازِنة في مواجهة النظام الأحادي القطبية وتوطين نظام عالمي متعدد الأقطاب"، من خلال تناول النقاط التالية :

1 - عن عودة العلاقات الصينية الروسية وبوادر الرؤى والمنظورات حول التوافق بتشكيل عالم متعدد الأقطاب.

2 - السياسات الصينية الروسية لإعادة تشكيل نظام دولي متعدد الأقطاب.

2. عن عودة العلاقات الصينية الروسية وبوادر الرؤى والمنظورات حول التوافق بتشكيل عالم متعدد الأقطاب

لقد تبنت الصين محاولة إحداث توازن بين علاقاتها مع القوى الكبرى وعلى رأسها روسيا، حيث بدأت العلاقات الروسية الصينية تتحسن منذ سنة 1989 قبيل انهيار الاتحاد السوفياتي، وبعد انهيار هذا الأخير واختفاء أوجه الخلافات الإيديولوجية، اندفعت هذه العلاقات اندفاعا لم تشهده الدول من قبل (النقر، 2009، ص ص: 94 – 95)، وقد تجلى هدوء التوترات بين الصين وروسيا في مجالات عدة، فقد رسم العدوان السابقان حدودهما المتنازع عليهما منذ وقت طويل والتي يبلغ طولها 4.340 ميلا (براون وآخرون، 2010، ص: 236)، واستطاعا حل حوالي 99% من مشاكل الحدود المشتركة بحلول سنة 1992 والتي خيمت على كل العلاقات

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بين الدولتين (النقر، 2009، ص: 95)، وجعلا منطقة الحدود منزوعة السلاح، ووضع كلا الطرفين قيودا على القوات البرية والطائرات الهجومية قصيرة المدى والدفاعات الجوية خلال 100 كم من الحدود، وكجزء من المعاهدتين الأساسيتين – اتفاقية بناء الثقة في المجال العسكري على طول مناطق الحدود واتفاقية التخفيض المتبادل للقوات العسكرية في مناطق الحدود – اللتين وقعتها الصين مع روسيا وطاجيكستان وكازاخستان وقرغيستان في شهر أفريل 1996 وأفريل 1997 على التوالي، حيث اتفقت الصين والموقعون الآخرون على تخفيض القوات بحيث لا تزيد على 130.400 جندي و3.900 دبابة و4.500 عربة مدرعة داخل الـ 100 كم، كما أن هناك بنودا أخرى في الاتفاقيات تحظر التدريبات العسكرية التي تتجاوز 40.000 فرد، مع ضرورة الإخطار المسبق بالتدريبات والمراقبين الإلزاميين لأي تدريبات تضم أكثر من 35.000 فرد، وتدريب واحد في السنة بـ 25.000 فرد أو أكثر، كما وقعت الصين وروسيا أيضا عدة اتفاقيات ثنائية أخرى لتعزيز الاستقرار والأمن المتبادل، من بينها عد الاستهداف النووي سنة 1994، واتفاقية منع الحوادث العسكرية العرضية سنة 1994، وقد عقد رؤساء الدول والحكومات الصينيون والروس لقاءات قمة متبادلة سنوية، فيما كان المسؤولين على مستوى الوزراء يتنقلون بانتظام بين عاصمتي الدولتين، وقد صاغت المؤسستان العسكريتان على وجه الخصوص علاقات وثيقة، منها نقل أعداد كبيرة من الأسلحة والتكنولوجيا الدفاعية الروسية بما في ذلك التدريب إلى الصين، حيث بلغت صادرات السلاح الروسية إلى الصين سنة 1996 حوالي 2.1 مليار دولار، وهو ما يمثل تقريبا ثلث تجارتهما الثنائية الإجمالية حينها (بروان وآخرون، 2010، ص ص: 236 – 237)، وقد أعلنت الصين سنة 1996 بأن التفاهم والتجانس بين الدولتين كان تأكيدا لنمو تلك العلاقات في أوجه التكامل والتعاون العديدة والمختلفة بين روسيا والصين، وتجدر الإشارة في هذا الصدد أنه عادة ما تجمعهما معارضة للسياسات الأمريكية، وبشكل أكثر خصوصية يُلفت النظر في دينامية الحوار الصيني الروسي، التوافق على ضرورة بناء نظام عالمي متعدد الأقطاب (النقر، 2009، ص: 95).

ومن أهم معالم تقدم العلاقات الصينية الروسية اتفاق الدولتين على إصدار البيان المشترك في 23 أفريل 1997 يتضمن البيان سبع فقرات تتناول مجالات مختلفة تشير إلى التضامن السياسي بين الدولتين وذلك على النحو التالي (النقر، 2009، ص: 95):

1 - التأكيد الصريح من قبل الدولتين لمفهوم تعدد الأقطاب وحرصهما على تشجيع جهود نظام عالمي جديد أساسه التوازن بين الأقطاب، مع رفضهما التام لتكوين مناطق النفوذ – كما هو الحال من قبل فترة الحرب الباردة – وأن الأمن والاستقرار يجب أن يكون أساس نظام عالمي سياسي واقتصادي جديد يتضمن جميع الدول، ويتمتع بالمساواة والاحترام المتبادل والتعاون المشترك لتجنب الصراعات الناجمة عن سياسة القوة.

2 - التأكيد على أهمية الاحترام المتبادل للسيادة وأهمية عدم تدخل الدول في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، ومن المعروف أن الصين - حتى الآن - لم تعترف بتايوان وتعتبرها جزءًا من أراضيها وتابعة لسيادتها، وبالتالي ضمن شؤونها الداخلية أي أنه لا يجوز لدولة أخرى كالولايات المتحدة الأمريكية أن تتدخل في هذه الأمور، مع التأكيد أيضا على الاهتمام الصيني – الروسي بأن تكون مفاهيم القانون والعرف الدوليين هي أساس العلاقات بين الدول لتحقيق التعايش السلمي.

3 - أهمية خلق نظام عالمي جديد مقبول من قبل الجميع، وبالتالي يطبق ضرورة الابتعاد عن عقلية ومفاهيم الحرب الباردة بين القطبين لخلق هذا النظام، وتعبر الدولتان عن تأييدهما لإخلاء العالم من الأسلحة خاصة النووية، وقلقها الكبير من تقوية أي منظمات عسكرية مما قد يتسبب في حرب إقليمية وعالمية.

4 - رغبة الدولتين في تقوية دور منظمة الأمم المتحدة وخاصة دور مجلس الأمن، لإيمانهما بأنه لا يوجد بديل لهذه المنظمة على الساحة العالمية، وبالتالي العمل بمقتضاها، وتشيران أنه كلما قوى مجلس الأمن زاد نفوذ الصين وروسيا ،وذلك لتمتع الدولتين بالعضوية الدائمة وحق النقض، ولهذه الأسباب من الطبيعي بالنسبة للصين وروسيا أن تتدخل هيئة الأمم المتحدة بصورة مكثفة في سياسات حل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الخلافات والنزاعات الدولية لزيادة نفوذهما من خلال المنظمة، حيث تشير الدولتين إلى رغبتهما في تركيز هيئة الأمم المتحدة على تفادي الأزمات قبل وقوعها، وإن حدثت الأزمات يجب أن تكون عملية حفظ السلام بموافقة مجلس الأمن والدول المعنية، وفي ظل مراقبة مجلس الأمن أيضا، كما أتفق الدولتان على أن أي حصارات اقتصادية أو عقوبات يجب أن تتوافق مع هيئة الأمم المتحدة وكذا مجلس الأمن، ويجب أن يكون هناك برنامج زمني لتقليل أو رفع هذه العقوبات بما يتوافق مع مدى تطبيق الدول المعنية لقرارات مجلس الأمن.

5 - الإشادة بالدور المزدهر للدول النامية ودور حركة عدم الانحياز سياسيا واقتصاديا، وكونها عناصر مهمة في إنشاء نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب، وقد أعلنت الدولتان أيضا حق هذه الدول في الاشتراك في النظام الدولي الجديد كأعضاء متساوين مع باقي الدول بعيدا عن أي اضطهاد من ضغوط سياسية واقتصادية، وذلك إشارة لهذه الدول أن هناك تفاهما روسيا – صينيا لموقفها .

6 - قد تم تأسيس شراكة استراتيجية بين الدولتين، موجهة للقرن الواحد والعشرين بهدف زيادة الأمن والاستقرار في منطقة المحيط الهادي الآسيوي والعالم ككل، كما أنها مبنية أيضا على أسس الثقة والصداقة والتنمية المتبادلة، وأنها تخضع لمفاهيم القانون الدولي وأنها غير موجهة ضد أية دولة ثالثة (ومن الواضح هنا أن الدولتين تشيران إلى حلف الشمال الأطلسي).

7 - تشجع الدولتين على الحوار في إنشاء نظام دولي جديد متعدد الأقطاب، واستعدادهما للبحث والنقاش مع أي دولة ترغب في ذلك (النقر، 2009، ص ص: 96 – 97).

فحسب ما تم الإشارة إليه في هذا البيان المشترك، وانطلاقا من فقرته السابعة فإنه قد أبدى البلدان على المستوى الدولي الرغبة في التعاون بينهما على إقامة نظام عالمي جديد، وعلى "أن الشراكة الاستراتيجية بينهما تساهم في إيجاد عالم متعدد الأقطاب"، وفي هذا الصدد يرى "وليد سليم عبد الحي" بأن تطور العلاقات الروسية - الصينية مدفوع بعوامل عديدة أهمها (عبد الحي، 2010، ص: 168):

1 - تدرك كلتا الدولتان الأهمية الاستراتيجية للطرف الآخر أيا كان نمط التحولات الدولية.

2 - الرغبة الروسية في خلق نوع من التوازن الاستراتيجي مع السياسة الأطلسية الهادفة إلى توسيع حلف شمال الأطلسي نحو شرق أوروبا من ناحية، والمخاوف الصينية من توسيع نطاق نشاط الحلف الأطلسي إلى خارج القارة الأوروبية، وبخاصة منطقة حوض المحيط الهادي من ناحية ثانية.

3 - انشغال كل منهما بترتيب أوضاعه الداخلية يجعله أميل إلى تهدئة البيئة المحاذية والإقليمية من حوله، ولعل ما ورد في البيان الصادر عن القمة بين البلدين في 23 أفريل 1997 يؤكد مساندة كل منهما الآخر في ترتيب أوضاعه الداخلية، فقد أكد البيان على "إقرار روسيا بأن التبت وتايوان جزء من الصين، وإقرار الصين بأن الشيشان جزء من روسيا."

4 - الرغبة الصينية في مواجهة الآثار الناجمة عن تجديد الاتفاق الأمني بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، والذي يعطي اليابان هامشا للحركة أوسع من الاتفاقيات السابقة.

5 - رغبة كل منهما في المشاركة بشكل أكبر في تحديد الشكل الذي سيأخذه النظام الدولي الجديد، والعمل على عدم انفراد الولايات المتحدة الأمريكية ببلورة هذا الشكل بمفردها.

6 - إن الديناميكية التي يتمتع بها الاقتصاد الصيني قد تكون عاملا مهما في تطوير سيبيريا والشرق الأقصى من روسيا من ناحية، في حين أن الفشل الصيني في التحول إلى قوة مركزية أو اضطراب الأوضاع الداخلية الصينية قد يخلق مشكلات لروسيا أكثر مما يبدو للوهلة الأولى من ناحية ثانية.

7 - الرغبة لدى الدولتين في العمل على دفع سياسة كوريا الشمالية (بحكم العلاقات التقليدية لهما معها) نحو قدر أكبر من سياسات التهدئة في المنطقة.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

8 - الحاجة الصينية للتقنية العسكرية الروسية، ورغبة روسيا في فتح أسواق جديدة لمبيعاتها العسكرية، إذ تقدر بعض التقارير قيمة صفقات الأسلحة الروسية إلى الصين خلال الفترة ما بين 1991 – 1996 بحوالي 5 مليار دولار، وهو ما يعادل 2% من إجمالي الصادرات الروسية (عبد الحي، 2010، ص ص: 168 – 169).

وتجدر الإشارة إلى أن مستوى التبادل التجاري بين البلدين قد ارتفع من 3.9 مليار دولار سنة 1991 إلى 5.5 مليار دولار سنة 1995، وإلى 7 مليار دولار سنة 1996 وإلى حوالي 8 مليار دولار سنة 1997، وقد سعى الطرفان إلى وصول حجم التبادل بينهما سنة 2000 إلى حوالي 20 مليار دولار، وما زاد من تطوير العلاقات بين الطرفين هو موافقة روسيا على تزويد الصين بطائرات اعتراضية من نوع "سوخوي 27" إلى جانب الموافقة على تصنيع الطائرات الحربية في المصانع الصينية في إطار صفقة تقدر بحوالي 2.5 مليار دولار، إلى جانب الاتفاقيات السابقة بين البلدين الخاصة بقيام روسيا ببناء مفاعلات نووية في مقاطعة "جيانجسو" في الصين (يوجد في الصين أربعة مصانع لإنتاج الطاقة النووية حتى عام 1997) وبناء محطة كهرومائية على نهر "يانج تسي" (عبد الحي، 2010، ص: 167).

والجدير بالذكر أنه طوال تسعينيات القرن العشرين، ومع خضوع كل من روسيا والصين للإصلاحات الداخلية، لم يكن للدولتين مصلحة في إحياء نزاعاتهما الإيديولوجية في الحرب الباردة، والتي كانت في ذلك الوقت قد فقدت أهميتها، ولم يكن لدى البلدين سوى القليل من الحوافز - إن وجدت - للانخراط في المنافسة، ناهيك عن المواجهة في مسرح جغرافي ثانوي لأهدافهما الوطنية الرئيسية المتمثلة في الإصلاح وإعادة الإعمار المحليين، فبالنسبة للصين، شكلت الولايات المتحدة الأمريكية ومنطقة آسيا والمحيط الهادئ المجال الرئيسي للمصلحة الاقتصادية والجيوسياسية، في حين أن مجالات الاهتمام الرئيسية بالنسبة لروسيا كانت الدول المستقلة حديثا في الاتحاد السوفياتي السابق التي شكلت محيطها المباشر، أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وكان هذان الأخيران مصدرا مهما للدعم المالي لاقتصاد روسيا المتعثر، وبالتالي قد اعتبرت العلاقات مع الصين؛ علاقات ذات أولوية قصوى بالنسبة لروسيا,Rumerm and others) (2020، إذ استمرت العلاقات الصينية الروسية في التحسن في القرن الواحد والعشرين، مع صعود البلدين إلى مكانة أكبر على الساحة العالمية حيث اتسم مسارها الاقتصادي والسياسي بقدر كبير من التكامل وثبت أن بعضها يعزز كل منهما الآخر، ومع بروز الصين كقوة صناعية وتصنيعية، أظهر اقتصادها طلبا متزايدا للحصول على الموارد، وكانت هذه فرصة سانحة وممتازة بالنسبة لروسيا، بمخزوناتها الهائلة من الموارد الطبيعية، لتحريك نموها الاقتصادي، وفي هذا الصد يمكن الإشارة إلى أن حجم التجارة بين الدولتين قد ارتفع من أقل من 10 مليار دولار في تسعينيات القرن العشرين إلى ما يقرب من 70 مليار دولار بحلول سنة 2010 وأكثر من 100 مليار دولار في عام 2018، مع الهدف المعلن وهو الوصول إلى 200 مليار دولار في عام 2024.(Rumerm and others, 2020)

والجدير بالإشارة هنا إلى أن "منظمة شنغهاي للتعاون" كانت إحدى البدايات والمراهنات لسلسة المجهودات التي بذلتها روسيا والصين للتعامل مع ما يسمى "القضايا الأمنية الجديدة حسب "محمد السيد سليم"، وسعيها إلى بناء نظام عالمي متعدد القطبية، وبناء على مبادرة صينية، اجتمع قادة الصين، روسيا، كازاخستان، طاجيكستان وقيرغستان في مدينة "شنغهاي" الصينية في شهر أفريل 1996 حيث تم توقيع اتفاقية إنشاء "مجموعة شنغهاي للدول الخمس"، وقد حددت الاتفاقية أن الدول الأعضاء تتعهد بإقامة منطقة منزوعة السلاح على طول الحدود بين الصين وباقي الدول الأعضاء، وعدم مهاجمة بعضها بعضا أو إجراء مناورات عسكرية تستهدف الدول الأخرى مع إبلاغها بتلك المناورات مسبقا، وفي القمة الرابعة التي عقدت في مدينة "بشيك" عاصمة قيرغيزستان، تم توسيع نطاق الاهتمامات لتشمل قضايا مكافحة الإرهاب، الجريمة المنظمة، الحركات الانفصالية، الهجرة غير الشرعية، وتجارة المخدرات والسلاح وغيرها، كما تم الاتفاق على إبعاد القوات المسلحة للدول على مسافة 300 كم من حدودها مع الدول الأخرى، وفي القمة المنعقدة في "شنغهاي" شهر جوان 2001، تم توقيع إعلان إنشاء "منظمة شنغهاي للتعاون" بدلا من المسمى السابق، وفي أكتوبر 2007، وقعت

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

"منظمة شنغهاي للتعاون" اتفاقا مع "منظمة الأمن الجماعي" في مدينة "دوشنابيه" يقضي بتوسيع التعاون بينهما في مجال قضايا الأمن، الجريمة المنظمة وتهريب المخدرات، مما يشير إلى أن المنظمتين هما جزء من المنظومة التي تقيمها روسيا في أوراسيا (سليم، 2011، ص: 51)، وقد نظر المحللون إلى ذلك وبالخصوص "منظمة شنغهاي للتعاون" التي وقعتها كل من الصين وروسيا مع جمهوريات آسيا الوسطى على أنه بسط للنفوذ في هذه المنطقة بما يجعل الولايات المتحدة الأمريكية بعيدة عنها، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصين لم تكن قد انضمت من قبل ذلك إلى اتفاقية أمن جماعي تتيح لها المشاركة بقوات عسكرية في وسط آسيا لمحاربة الإرهاب وغيره من التهديدات التي قد تهدد استقرار الوضع القائم، وقد أصبحت هذه المنظمة إطارا للتعاون في مجالات أخرى غير أمنية وعلى رأسها العلاقات الاقتصادية (قنديل، 2011، ص: 57)، وفي هذا الإطار تبرز الصين كحليف أساسي وأحد الأقطاب التي ترى روسيا في الشراكة معها عاملا أساسيا لموازنة الهيمنة الأمريكية والحد منها لا سيما في منطقة آسيا الوسطى التي تحظى بأهمية خاصة لدى البلدين وأيضا في منطقة شرق وجنوب آسيا حيث الوجود الأمريكي المكثف في اليابان وكوريا الجنوبية، ولذلك ترحب روسيا بالصعود الصيني وترى في أن الشراكة والتحالف هو السبيل الأمثل للتعامل مع الصين، وهو ما يمكن إيجازه حسب الباحثة "نورهان الشيخ" بمقولة "فلنصعد معا"، وقد أكدت القيادة الروسية دوما هذا الأمر، إذ وصف الرئيس الروسي السابق ورئيس الحكومة حينها والرئيس الحالي "فلاديمير بوتين"، العلاقات الروسية - الصينية بأنها تحمل طابعا استراتيجيا وتتميز بالثقة وقد ارتقت إلى أعلى مستوى، وأكد في شهر أكتوبر 2010 بأن "الشراكة الاستراتيجية الحقيقية القائمة بين البلدين تستجيب لمصالح الشعبين على المدى الطويل، وتساعد على ضمان الأمن والاستقرار الدوليين وأن العلاقات بين روسيا والصين قد بلغت أعلى مستوى لها حاليا على مر تاريخها كله، وهي تتصف بتنمية التعاون الديناميكي والمتبادل المنفعة في جميع الميادين، وأن العلاقات الممتازة بين روسيا والصين تساعد في توطين الأمن والاستقرار في العالم"، وبذلك تريد روسيا السير بخطى ثابتة ولو بطيئة لاستعادة بعض مواقع النفوذ التي فقدتها منذ سقوط الاتحاد السوفياتي، وتصحيح الخلل في التوازن بينهما إلى علاقة متكافئة بين شريكين على قدم المساواة، في إطار نظام متعدد الأقطاب ينهي الاحتكار والانفراد الأمريكي في إدارة الشأن الدولي (الشيخ، روسيا... الشريك الطبيعي للصين، 2011، ص: 93).

إذ تشترك روسيا مع الصين في مساعيها الرامية إلى إضعاف التحالف الأمريكي – الأوروبي، الأمر الذي دفع كل من روسيا والصين إلى إقامة مناطق نفوذ خاصة بهما من خلال ضم روسيا لشبه جزيرة القرم سنة 2014، وعسكرة الصين لبحر الصين الجنوبي بدءا من سنة 2012، الأمر الذي يسلط الضوء مجددا عن دور هذا العامل في التفاعلات الراهنة بين القوى الكبرى، حيث ينظر إلى تأسيس التحالفات في الجوار المباشر للقوى الكبرى على أنه الترجمة العملية لاستراتيجية مناطق النفوذ في العلاقات الدولية، كما ينظر إلى المناطق التي تسعى القوى الكبرى للتمدد فيها باعتبارها مناطق نفوذ، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه قد ترتب على نهاية الحرب الباردة، اتجاه الولايات المتحدة الأمريكية لتعزيز نفوذها على أقاليم العالم المختلفة، حيث أصبحت هذه الأخيرة القوة العظمى الوحيدة المهيمنة على الساحة الدولية، واستمر هذا الأمر حتى الأزمة المالية العالمية سنة 2008، إذ أرجع العديد من المحللين إرهاصات النظام الدولي المتعدد الأقطاب إلى تاريخ هذه الأزمة، واتجاه كل من روسيا، الصين، الهند والبرازيل، لتأسيس "تجمع البريك" في أعقابها، ثم انضمام جنوب إفريقيا إليهم وأصبح إثرها التجمع يدعى "البريكس" (جينسين، 2019، ص ص: 34 – 35) .

وتجدر الإشارة إلى نقطة مهمة مفادها أنه؛ قد أدت الأزمة المالية لسنة 2008 إلى تسارع التغيرات الجيوسياسية وانخفاض الأهمية الاقتصادية النسبية للولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا في الاقتصاد العالمي أولا، والتي كانت لها تداعيات كبيرة على تراجع القوة الاقتصادية الأمريكية، وكذا السرعة التصاعدية لتراجع القوى على هيكل الإدارة الاقتصادية العالمية (باسكاران، 2011، ص: 282)، أما ثانيا فقد كان لجائحة فيروس "كورونا كوفيد 19" التي اجتاحت العالم خلال سنة 2020 أن أحدثت هزة عالمية قد تجلت خلالها بشكلي جلي ضعف الولايات المتحدة الأمريكية في التعامل مع الأزمات التي أحدثتها هذه الجائحة مقابل صمود الصين وسرعة تعاطيها

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

معها والعمل سريعا على احتواءها، وتوظيف الدبلوماسية الناعمة (الدبلوماسية الصحية كما أطلق عليها) في استغلال الفرصة لمساعدة أصدقاءها وحلفاءها ومحاولة استقطاب دول أخرى لتنظم لها رغم كون تلك الدول حليفة الولايات المتحدة الأمريكية، هذه الأخيرة التي لم تحاول حتى دعمهم أو الالتفات لهم، وهو ما جعل تلك الدول تفكر بشكل منطقي ومنفعي، مدعمة بذلك الحضور الصيني على المستوى الدولي مدعومة بالدعم الروسي لها.

3. السياسات الصينية الروسية لإعادة تشكيل نظام دولي متعدد الأقطاب:

لقد كانت عودة روسيا إلى مصاف القوى الكبرى من الأهداف التي أعلنها الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" إثر توليه سدة الحكم سنة 2000، وعقب ثماني سنوات وخلال أزمة أوسيتيا الجنوبية سنة 2008، قد بدا واضحا حسب الباحثة "نورهان الشيخ" أن "بوتين" قد حقق هدفه واستعادة روسيا مكانتها ودورها الفاعل في العلاقات الدولية بعد حالة التراجع خلال عقدي ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين، وقد تأكد الدور الروسي الفاعل خلال الأزمتين السورية والأوكرانية، وتحول الدور الروسي من دور الفاعل إلى دور القائد خاصة عقب التدخل الروسي في سوريا، حيث قادت مجريات الأحداث في سوريا وأوكرانيا، ليتأكد تحول النظام الدولي من الأحادية القطبية الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية، إلى نظام تعددي تؤدي فيه روسيا والصين وعدد من القوى الصاعدة دورا محوريا وموازيا للدور الأمريكي (الشيخ، روسيا من دور فاعل إلى دور قائد، 2016، ص: 198)، بالموازاة مع السعي الروسي إلى زيادة توثيق علاقاتها بالصين، الأمر الذي جعل الولايات المتحدة الأمريكية في استراتيجية الأمن القومي الأمريكية الصادرة في 18 ديسمبر 2017، تُضمِن كل من روسيا والصين كتهديد رئيسي لها، مستخدمة مصطلح "الدول التحريفية" للإشارة إلى روسيا والصين اللتين تحاولان تغيير الوضع الدولي الراهن، أو "القوى المراجعة" التي ترغب في إيجاد عالم لا يتوافق مع المصالح والقيم الأمريكية (الشيخ، روسيا في معادلة التنافس الأمريكي – الصيني، 2019، ص: 124).

واستنادا على ذلك؛ ترى "نورهان الشيخ" بأن هذا العامل قد ساهم في دفع التقارب بين روسيا والصين، فمواجهة نظام أحادي القطبية ومحاولة الانتقال إلى عالم يتسم بالتعددية وأكثر عدالة وإنصافا، قد كان هدفا مشتركا بين القوتين منذ بدء التفاهم الاستراتيجي بينهما منصف تسعينيات القرن العشرين، ومنذ ذلك الحين تقودهما مدركات وإرادات واعية قائمة على بناء رؤية استراتيجية بعيدة المدى، كما تمثل توجها ثابتا ومستقرا لدى الطرفين، حيث أن كلا من روسيا والصين تعدان ظهيرا وعمقا استراتيجيا للآخر، ففي الوقت الذي سعت فيه الإدارة الأمريكية جاهدة لعزل روسيا دوليا على خلفية الأزمة الأوكرانية، جاءت القمة الروسية – الصينية في "شنغهاي" شهر ماي 2014 لتؤكد أن روسيا لا يمكن عزلها وأن لها عمقا آسيويا يمكن الاحتماء به من هجمات الغرب، وفي تأكيد للتحالف الاستراتيجي القوي بين الصين وروسيا، ألقى الرئيس الروسي "بوتين" كلمته أمام القمة الرابعة لمؤتمر التفاعل وإجراءات بناء الثقة في آسيا (سيكا) التي عقدت في طاجيكستان بالتزامن مع القمة في 15 جوان 2019، مؤكدا فيها على أن روسيا حليف أساسي للصين إزاء الحرب التجارية والتصعيد الاستراتيجي الأمريكي ضدها، كما تضمنت القمة الروسية – الصينية التي عقدت في 5 جوان 2019 تأكيدا واضحا على أن الطرفين يسعيان معا في مواجهة السياسات الأمريكية، حيث أكد الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" ونظيره "شي جين بينغ" أن التعاون بين البلدين وصل لمستويات غير مسبوقة في مختلف المجالات، وأنهما تعملان على تعميق أكبر للشراكة الاقتصادية البينية في إطار شراكة أوسع بين "الاتحاد الاقتصادي الأوراسي (EAEU) "الذي تقوده روسيا ومشروع "الحزام والطريق" الذي تقوده الصين، وأن روسيا والاتحاد الاقتصادي الأوراسي يمثلان فضاءً تجاريا واستثماريا داعما للصين في مواجهة العقوبات الأمريكية، وتجدر الإشارة إلى أنه خلال هذه القمة الثنائية تم توقيع 21 اتفاقية تدعم التعاون الواسع القائم فعلا بين القوتين في مجالي الطاقة والفضاء، والمجال النووي، وتدشين تعاونا جديدا في مجالات الزراعة، الصناعة، النقل والاتصالات، من أبرزها إنشاء ممر للنقل يتضمن خطوطا برية وبحرية لتسهيل التنقل بين الطرفين وتطوير البنى التحتية الحدودية بينهما (الشيخ، روسيا في معادلة التنافس الأمريكي – الصيني، 2019، ص ص: 124 –

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

126)، والجدير بالذكر أن القيادة الروسية تدرس وتجسد تحركاتها بكل تركيز وذكاء، إذ مع تركيزها على تأمين منطقة نفوذ لها في أوروبا، فإن المنافسة على جبهتين – في أوروبا مع حلف الشمال الأطلسي وفي آسيا مع الصين – كانت ستكون عبئا اقتصاديا وعسكريا ودبلوماسيا أكثر من اللازم على روسيا، ولذلك فإنها ترى في شراكتها مع الصين ضرورة جيوسياسية.(Rumerm and others, 2020)

وتجدر الإشارة إلى أن المناورات الاستراتيجية الثنائية بين الصين وروسيا في منطقة القطب الشمالي، قد أصبحت أحد القضايا المهمة التي تؤرق الولايات المتحدة الأمريكية والتي أولتها أهمية في استراتيجيتها تجاه القطب الشمالي وقد نص ملخص تقرير وزارة الدفاع الصادر في شهر جوان 2019 المقدم إلى الكونغرس الأمريكي حول استراتيجية القطب الشمالي على أنه: "لدى الولايات المتحدة الأمريكية ... مجموعات واسعة ومتشابكة من مصالح الأمن القومي المتعلقة بمنطقة القطب الشمالي ... حيث يعتبر القطب الشمالي كممر محتمل للمنافسة الاستراتيجية، وهو وسيلة محتملة لتوسيع المنافسة بين القوى العظمى والعدوان الذي يمتد بين منطقتين رئيسيتين من المنافسة المستمرة ... الهند والمحيط الهادئ وأوروبا - والولايات المتحدة الأمريكية، وتشمل المصالح الأمريكية الحفاظ على المرونة لإسقاط القوة العالمية، من خلال ضمان حرية الملاحة والتحليق؛ والحد من قدرة الصين وروسيا على الاستفادة من المنطقة كممر للمنافسة التي تعزز أهدافهما الاستراتيجية من خلال السلوك الخبيث أو القسري"، ويمكن الإشارة أيضا إلى أن القطب الشمالي ليس مجرد ممر محتمل للمنافسة الاستراتيجية، أو طريق محتمل لتوسيع منافسة القوى العظمى حسب الباحث " مايكل آر جي ليونز Michael R. G. Lyons"بل لما يحتويه من مواد طاقوية، حيث قدر مسح جيولوجي أمريكي أن القطب الشمالي يحتوي على ما يقرب من 90 مليار برميل من النفط غير المكتشف، وهو ما يمثل حوالي 13% من الإمداد العالمي، مع حوالي ثلث الغاز الطبيعي غير المكتشف على الأرض (Lyons, 2020) .

وكنتيجة لتوطين التحالف الاستراتيجي الصيني – الروسي، عملت الولايات المتحدة الأمريكية على الانسحاب من "اتفاقية الصواريخ قصيرة ومتوسطة المدى(INF) "، -والتي دخلت فيما بعد حيز التنفيذ في 12 أوت 2019 - في محاولة منها على احتواء التمدد الصيني في منطقة شرق آسيا لا سيما بحر الصين الجنوبي، وقد كان رد روسيا بإجراء مناورات جوية مشتركة مع الصين بعيدة المدى، والتي أجريت للمرة الأولى بين القوات التابعة لجيش التحرير الشعبي الصيني والقوات الجوية الروسية في 23 جويلية 2019 فوق بحر اليابان وبحر الصين الشرقي بالمحيط الهادي، باعثين برسائل ودلالات عدة منها ما يتعلق بمستوى العلاقات بين الطرفين، ومنها رسائل لأطراف دولية وإقليمية في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، فوفقا لوزارة الدفاع الصينية فإن هذه المناورات تهدف إلى تعزيز الشراكة العسكرية الاستراتيجية بين الصين وروسيا، ومواجهة ما أطلقت عليه "سياسة القطب الأوحد" التي يقصد بها الهيمنة التي تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية على العالم (الشيخ، روسيا في معادلة التنافس الأمريكي - الصيني، 2019، ص: 126)، الأمر الذي يؤكد بأن ضرورات الاعتماد المتبادل قد بينت بأنه لم يعد هناك ما يجعل في مقدور دولة بأن تعيش منفردة أو منعزلة عن العالم، وأن مجموعة القضايا العالمية التي لم تعد في إمكان دولة أو قوة واحدة أيا كانت قدراتها التعامل معها بمفردها في ما يخص تفاعلات العلاقات الدولية (شلبي، 2005، ص: 193) .

ففي ظل اشتراك كل من الصين وروسيا في علاقات تجارية واقتصادية ندية مع الولايات المتحدة الأمريكية، عمل الطرفان على انتهاج سياسات تهدف إلى الحد من دور الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها الطرف الفاعل والبارز في التجارة والتمويل العالميين، فضلا عن قدرتها على استخدام موقعها الرائد كسلاح اقتصادي، الأمر الذي جعل الصين وروسيا تتفقين في عام 2019، على زيادة حصة التجارة الثنائية المستقرة بعملاتها الوطنية بدلا من الدولار الأمريكي، وفي عام 2018، في ما بدا أنه رد على العقوبات الأمريكية وكذلك لفتة رمزية، باع البنك المركزي الروسي أكثر من 100 مليار دولار من حيازات سنداته الاحتياطية لدى الولايات المتحدة الأمريكية واستبدلها باليورو واليوان الصيني، ورغم أنه قد ثبت أن هذه الخطوة مكلفة حيث تشير التقديرات إلى أن روسيا خسرت 8 مليارات دولار

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

نتيجة لذلك (Rumerm and others, 2020)، إلا أن هذا السلوك يدخل في نطاق فض الاحتكار والعمل شيئا فشيئا للتقليل من التعامل بالدولار الأمريكي، وإضافة إلى تكثيف العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بينهما؛ وسَّعت روسيا والصين بشكل مطرد علاقاتهما العسكرية، ففي شهر أكتوبر 2019، وفي إشارة غير مسبوقة للتعاون الاستراتيجي، أعلن "بوتين" أن روسيا تساعد الصين على تطوير نظام الإنذار المبكر ضد الهجمات الصاروخية، وبما أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر هي المصدر الوحيد المحتمل للهجوم ضد الصين والذي يمكن أن يكون مثل هذا النظام ذا صلة به، فقد بعث هذا برسالة قوية حول مدى تعاون الدولتين في المجالين الدفاعي والصناعي، فضلا عن منظورهما المشترك بأن الولايات المتحدة الأمريكية تشكل تهديدا وجوديا لهما، الأمر الذي عد أحدث علامة ومؤشر على توسيع التعاون الدفاعي، موازاة مع إجراء الطرفين تدريبات ثنائية ومناورات عسكرية متعددة الأطراف ومتزايدة الحجم والتعقيد (Rumerm and others, 2020).

ما يمكن قوله واستنادا إلى ما سبق ذكره، هو أن ظهور حالة أفول القطب الواحد الذي يتزعم العالم بشكل واضح وجلي خاصة سنة 2019 وخلال السنة الحالية 2020، هي ما جعلت "إيان بريمر Ian Bremmer " أستاذ الجيوسياسة التطبيقية في جامعة كولومبيا يقول بـ "إن التحدي الذي يواجهها اليوم هو انحلال النظام العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وغياب القيادة العالمية للتدخل وتولي دورها، نحن نعيش في عالم فراغ الزعامة (G-Zero)، أي وجود فراغ للقوى في السياسة الدولية بسبب تراجع دور الولايات المتحدة الأمريكية وتركيز الدول النامية على أوضاعها الداخلية، وسط حالة جديدة من الركود الجيوسياسي واتساع نطاق تأثيرها، وفي حالة الركود الجيوسياسي هذه يؤدي انكسار السياسات العالمية إلى تأجيج المخاطر العالمية بدلا من المساعدة في حلها"، ومن ثمة فإن "فيروس كورونا كوفيد 19" يعتبر إشارة أخرى حول الاختلال الوظيفي للسياسة العالمية التي تحركها الواقعية السياسية، ومن المؤكد أن ستكون هناك نزعة قومية تكنولوجية وحمائية اقتصادية ضمن دائرة التنافس الأمريكي، الأوروبي، الصيني، وكذا الروسي (الشرقاوي، 2020، ص: 18)، ويُذكر هنا أنه على مدى السنوات العشرين الماضية من القرن الواحد والعشرين، قد عادت روسيا جارة الصين من الجهة الغربية، إلى الظهور كقوة رئيسية في عهد الرئيس "فلاديمير بوتين"، والذي عمل على تزايد الحضور الروسي على الساحة الدولية بشكل كبير (Quinn, 2020)، سواء على مستوى التحالفات السياسية والأمنية أم الاقتصادية، وقد عملت على التعاون اقتصاديا مع الصين، إذ بدأ الغاز الطبيعي يتدفق من روسيا إلى الصين للمرة الأولى في 2 ديسمبر2019 عندما أطلق الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" والرئيس الصيني "تشي جين بينغ" رسميا المرحلة الأولية من خط أنابيب جديد ضخم يعرف باسم "قوة سيبيريا"، يمتد أكثر من 2200 كيلومتر (1300 ميل)، ومن المتوقع حسب "شركة غازبروم" عملاق الطاقة المملوك للدولة في روسيا، أن تحقق إيرادات بقيمة 400 مليار دولار، وهو أكبر عقد تصدير على الإطلاق بين الدولتين، والمحتمل أن يحقق خط الأنابيب هذا أرباحا ليست فقط اقتصادية بل سيصبح مربحا من الناحية الجيوبوليتيكية أيضا، مما يؤدي إلى تسريع الوفاق الاستراتيجي بين ثاني أكبر منتج للغاز في العالم وأكبر اقتصاد في آسيا، في وقت يتراجع فيه التأثير العالمي للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها أمام كل من روسيا والصين(Lukin, 2020) ، والجدير بالذكر هنا هو أن روسيا تساعد الصين على تعزيز قوتها من خلال توفير أسلحة متقدمة وتكنولوجيا عسكرية ودعم دبلوماسي لمواقفها بخصوص كوريا الشمالية وبحر الصين الجنوبي، وذلك من خلال التوقيع على شراكة غير متكافئة مع الصين، إذ تسعى روسيا إلى أن تتكيف مع حقيقة استمرار تراكم القوة الصينية في آسيا، كما تستعد روسيا لتصبح معتمدة بشكل متزايد على الصين كمصدر للتكنولوجيا والاستثمارات كحد أدنى(Sokolsky and Rumer, 2020) ، وتجدر الإشارة أيضا إلى أهمية المبادرة الاقتصادية الصينية "الحزام والطريق" وموقعها في العلاقات الروسية الصينية، حيث يعتبر الممر الشمالي الغربي والذي بدأت الصين تروج له منذ سنة 2016 كمنافس قوي لقناتي السويس وبنما، والذي يختصر الوقت والمسافة بين موانئ الصين وموانئ شمال أوروبا، في ظل الزيادة المطردة في عدد السفن المارة به (كمال، 2019، ص: 101)، والذي سيمر عبر المياه الروسية شمالا مما يعزز المكانة الدولية لكل من روسيا والصين.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وفي ظل ما أحدثته وستحدثه أزمة جائحة فيروس "كورونا كوفيد 19" على المستوى العالمي، فإنه يمكن القول بأن الواقع الدولي سيشهد تغيرا بعد الجائحة وربما ستكون من بين سماته الرئيسية، عالم متعدد الأقطاب ستبقى فيه الولايات المتحدة الأمريكية والصين أكبر الجهات الفاعلة على المسرح العالمي، حتى لو تضاءلت قدرتهما وإرادتهما على الصعيد العالمي على مدى السنوات القادمة بشكل كبير، نتيجة لما سيخلفه فيروس "كورونا كوفيد 19"، كما سيكون هناك تنافس على الموارد والطلبات المحلية، والانشغال بالمسائل الداخلية لكل دولة في العالم، وفي الوقت نفسه سيستمر عدد من الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية الهامة في ممارسة نفوذ كبير في الشؤون الإقليمية والعالمية، وسوف تبقى منطقة أوراسيا والمناطق المحيطة الخاصة بمنطقة الهلال الهامشي المحيطة بها مركز الجاذبية الاستراتيجي في العالم (Sokolsky and Rumer, 2020)، ويمكن الاستدلال هنا بنظرية الإطار أو الهامش الجيوبوليتيكية عند "سبيكمان" خاصة وأن مرحلة ما بعد الحرب الباردة قد أوضحت بشكل جلي تأثير أفكار "سبيكمان" في استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية، والتركيز على القارة المشاطئة للبحر في إشارة منه إلى أهمية موقع الصين، وبذلك تضيف الاستراتيجية الأمريكية الأرض "المؤطرة" أو الإطار الصيني إلى الأرض الجزيرية اليابانية كمحاولة لأخذ قلب الأرض السوفياتية أو الروسية حاليا من الخلف مع عدم تجاهل محاولات الاندفاعات الروسية نحو البحار الدافئة (الخيري، 2014، ص ص: 184 – 185).

وكنتيجة لمحاولة روسيا التوطن في الأراضي الليبية، واستغلال فرصة حالة الإلتهاء الأمريكية بفيروس "كورونا كوفيد 19" وبما يجري فيها من مظاهرات وأعمال ساخطة على الرئيس "ترامب" وعن مقتل المواطن الأمريكي "جورج فلويد" على يد الشرطي، في استراتيجية لها للتمركز في المياه الدافئة بالبحر الأبيض المتوسط من خلال سوريا وليبيا، وكرد فعل قامت قوات من حلف الناتو بمحاولة التشتيت الروسي وذلك من خلال الإسراع بالقيام بتدريب بحري يشارك فيه حوالي 3000 جندي، حيث بدأ التدريب بتاريخ 7 جوان 2020، والذي سيستمر إلى غاية 16 جوان 2020، ويشمل القوات البحرية والجوية مع حوالي 30 سفينة وغواصة و30 طائرة، ويشمل التدريب الدفاع الجوي، والحرب المضادة للغواصات، والحظر البحري وعمليات مكافحة الألغام المضادة، وقد أطلق على هذه العمليات اسم "BALTOPS 2020"، ولضمان سلامة وصحة الأفراد العسكريين المشاركين ستقام تلك العملية حصريا في البحر، هذا البحر الذي قالت عنه المتحدثة باسم الناتو "أونا لونجيسكو Oana Lungescu ": إن بحر البلطيق له أهمية إستراتيجية حيوية للحلف، ويحده ست دول من الناتو وشريكين مقربين(-NATO navies and air forces exercise in the Baltic Sea, 2020) "، وتجدر الإشارة هنا أنه وللمرة الأولى تتم قيادة التمرين على الشاطئ من قبل القوات البحرية الضاربة وقوات الناتو (STRIKFORNATO) من مقرها في لشبونة بالبرتغال، وحسب تصريح لنائبة الأدميرال "ليزا فرانشتيتي"Lisa Franchetti ، القائدة في القوات البحرية لقوات الناتو وقائد الأسطول السادس الأمريكي بأن: "عملية "BALTOPS 2020" توفر الفرصة لحلف شمال الأطلسي والدول الشريكة للعمل معا، وتبادل أفضل الممارسات لتحسين العمليات في العالم الحقيقي"، وتعد هذه العملية هي أكبر سلسلة تمارين في بحر البلطيق، الأمر الذي جعل روسيا تقوم بالقيام بالتحرك النشط لجيش بحر البلطيق من خلال إرسال 10 مقاتلات روسية تزامنا مع التدريب الزمني لقوات حلف الناتو في بحر البلطيق، وفي جانب آخر أيضا من محاولة محاصرة الولايات المتحدة الأمريكية للصين رغم وجود جائحة فيروس "كورونا كوفيد 19"، فقد أقدمت على القيام بتدريبات عسكرية مشتركة في بحر الصين الجنوبي، وذلك من خلال المناورات التدريبية بين السفينة القتالية الأمريكية "USS Gabrielle Giffords (LCS 10)" والفرقاطة الشبحية المتعددة الأدوار للبحرية من جمهورية سنغافورة "RSS Steadfast (FFS 70)" في 25 ماي 2020، حيث تتحرك القوات المسلحة الأمريكية - بطريقة مكثفة لعمليات نشر القوات العسكرية - لاستعادة الردع ضد الصين في غرب المحيط الهادئ، وبما يساعد على ردع الحسابات العسكرية الصينية(Pavel, 2020).

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إنه من المحتمل أن يشهد العالم انتشار التقنيات العسكرية الجديدة التي تسعى إلى مزيد من الضغط على أنظمة عدم الانتشار العالمية، خاصة في غياب تدابير جديدة متعددة الأطراف تعزز المعايير والمؤسسات التي تحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل، كما أنه من المحتمل أن يكون هناك عالم أكثر عرضة للنزاعات والأخطار، وبالتالي سيكون هناك عالم غير مستقر استراتيجيا، وكذا عالم متحول تقنيا وأكثر تقدما من الناحية التكنولوجية مما عليه العالم اليوم، في مختلف التقنيات مثل الذكاء الاصطناعي، وشبكات الجيل الخامس، ومصادر الطاقة المتجددة، ولقاحات الفيروسات التاجية الجديدة، والتي ستوسع الدائرة التنافسية ولن تكون هناك دولة واحدة محتكرة، وهو ما يلقي بضلاله على الاقتصاد العالمي وطبيعة النظام الدولي، وعليه سيتم الاعتماد بشكل أساسي على الاتجاهات الجيوسياسية العالمية وعلى العوامل المحلية في كل دولة، والتي ستؤثر على أولويات سياستها الخارجية، كما أنه من المحتمل أن يتقلص الدور العسكري الضخم الذي لعبته الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا في العقود الأخيرة(Sokolsky and Rumer, 2020) ، حيث يعتبر "باري بافيل Barry Pavel " أن جائحة فيروس "كورونا" أكبر صدمة استراتيجية للجغرافية السياسية منذ الحرب العالمية الثانية، وعليه فإن الصدمات الثانوية التي يُولدها هذا الفيروس - بما في ذلك الانكماش الاقتصادي الذي يمكن أن يؤدي إلى كساد كبير - يمكن أن تكون مهمة بنفس القدر إلا أنه لا يمكن التنبؤ بها في آثارها (Pavel, 2020)، وفي هذا الإطار كان قد تطرق الباحث السنغافوري "مانو باسكاران" في دراسة له عن أن الانتقال من عالم أحادي القطبية تهيمن عليه قوة عظمى واحدة إلى عالم متعدد الأقطاب سيكون مضطربا على الأرجح، والنتيجة ستكون عالما أخطر، ومتاعب لا يسهل حلها (باسكاران، 2011، ص: 261)، ولربما أن جائحة فيروس "كورونا كوفيد 19" قد خلقت عالما مضطربا فعلا من خلال خلق مخاطر وتحديات غير عسكرية ولكنها عنيفة عابرة للحدود الوطنية تمتد من الجوائح أو الكوارث الصناعية، التكنولوجية والطبيعية (ستيبانوفا، 2011، ص: 197) حسب الباحثة الروسية في وحدة دراسات السلام والنزاع في معهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولة (IMEMO) التابع لأكاديمية العلوم الروسية "إيكاترينا ستيبانوفا"، للحيلولة دون بروز قوى أخرى تقاسم الولايات المتحدة الأمريكية الهيمنة العالمية، وهو ما جعلها تدخل في حرب باردة جديدة مع الصين وقد برزت بشكل جلي من خلال الصراع التجاري الأمريكي الصيني، وكذا تنافسهما الكبير من أجل امتلاك التكنولوجيا الفائقة الذكاء، هذه الأخيرة التي تريد الولايات المتحدة الأمريكية التفرد بها وحده في العالم.

ويبدو أن كتاب "جون بولتون John bolton" مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق، الصادر في 23 جوان 2020، بعنوان "The Room Where it Happened : A White House Memoir"، قد بين أمورا توضيحية من الوقائع باعتباره شاهدا عليها فترة إدارة الرئيس "ترامب" الحالية، كشفت عن ظهور السياسة الأمريكية في عهده بمظهر "السياسة المرتبكة" والتي حسب "بولتون" قد أدت إلى تراجع القوة الأمريكية في النظام الدولي أمام قوى أخرى كالصين وروسيا، فحسب "وليد عبد الحي" فإن هذا الكتاب يعتبر تعبير عن مرحلة من مراحل التراجع الأمريكي الذي تحدث عنه الكثير من المفكرين والخبراء في الدراسات المستقبلية على غرار "بول كينيدي" وغيره، ونتيجة لما تم ذكره، فإن السنوات القليلة المقبلة وما بعدها ستشهد على الأرجح أن تؤدي الولايات المتحدة الأمريكية دورا أقل نشاطا وتأثيرا في الشؤون العالمية، على الرغم من الدرجة التي ستعتمد جزئيا على من هو الرئيس القادم فيها، لقد انقضت لحظة القطب الواحد وأصبحت التحالفات الأمريكية متضررة بشدة؛ الأمر الذي يجعل النظام الدولي يتحول إلى نظام عالمي أكثر تعقيدا وغموضا وإرباكا، حيث تقوم القوى الإقليمية والعالمية الرئيسية الأخرى بإعادة التوازن (Sokolsky and Rumer, 2020)، والبحث بشتى السبل من أجل خلق توازنات وتحالفات مغزاها توطين نظام عالمي متعدد الأقطاب بعيدا عن هيمنة أحد الأقطاب، كما أن الخريطة الجيوبوليتيكية للعالم سوف تصبح أكثر تعقيدا وأكثر تقلبا، فعدو الأمس قد يكون هو صديق اليوم والعكس، كما أن التحالفات الدائمة التي كانت من دعائم النظام القديم مثل الحلف الأطلسي سوف تكون أقل أهمية رغم ما قد يتطلبه أطرافه، أما في ما يخص من سيكون أكثر أهمية فهي الائتلافات المؤقتة حول بعض القضايا، فما يمكن ذكره هو أن العلاقات بين الدول سوف تتسم بالغموض، وسوف

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يستبدل العالم بعالم مادي، كما وقد تتحول العلاقات بين القوى الكبرى إلى خليط من التعاون والتنافس (شلبي، 2005، ص ص: 193 – 194)، وربما ستكون هناك مقايضات وتحولات جيوبوليتيكية خاصة فيما أحدثته أزمة جائحة "كورونا كوفيد 19"، وما ستحدثه من تداعيات اجتماعية واقتصادية وسياسية على الواقع العالمي.

4. خاتمة:

لقد سلكت كل من الصين وروسيا اتجاها براغماتيا بعيدا عن الإيديولوجيا القديمة يولي المصالح والتحالف الدوليين في بادرة ورغبة ثنائية للحد من الهيمنة الأمريكية على العالم، مما ساهم بالفعل في توطيد العلاقات الصينية – الروسية متحولة في ذات الوقت إلى شراكة استراتيجية هامة، تعملان معا كقوى تعديلية وبشكل حثيث إلى مواجهة النظام الأحادي القطبية، والسعي لتوطين معالم نظام عالمي متعدد الأقطاب، ولعل تراجع الدور الأمريكي في العالم قد ترافق مع وجود الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" الذي انتهت عهدته شهر جانفي 2021، بالموازاة مع حدوث جائحة فيروس "كورونا 19" وما رافقها من أزمات، وفشل "ترامب" في التعامل مع الأزمة التي خلقتها سواء في الداخل الأمريكي أو في الخارج وعلى وجه الخصوص تجاه الدول الحلفاء للولايات المتحدة الأمريكية مما أثار امتعاضا لديهم، ومن ثم فقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها:

1 - يعتبر التحالف والشراكة الاستراتيجية المتنامية والموثوقة بين الصين وروسيا من ضمن السمات الأبرز للنظام الدولي الجديد، وهي شراكة تفرضها ضرورات المصلحة الوطنية بين القوتين في مواجهة السياسات الأمريكية ضدهما في محاولة لعرقلتهما لخلق نظام عالمي متعدد الأقطاب.

2 - إن ظهور عالم متعدد الأقطاب سيدفع القوى الكبرى لتأسيس مناطق نفوذ خاصة بها في مجالات مختلفة من العالم.

3 - ستبقى علاقة روسيا مع الصين ذات الأولوية الأكثر أهمية لها، بحكم التحولات الجيوسياسية في العالم، والأمر نفسه بالنسبة للصين.

4 - إن الشراكة الاستراتيجية بين روسيا والصين تترسخ في التكامل السياسي والاقتصادي والجيوسياسي، وفي التقاء مصالحهما وتصورات التهديد الذي سيكون من الطرف الأمريكي الذي يعتبر المنافس الحقيقي لمصالحهما.

5 - ستكون هناك مقايضات وتحولات جيوبوليتيكية خاصة فيما أحدثته أزمة جائحة "كورونا كوفيد 19"، وما ستحدثه من تداعيات اجتماعية واقتصادية وسياسية على الواقع العالمي .

6 - ستراهن كل من الصين وروسيا على الجغرافيا السياسية لمناطق نفوذها في مختلف مناطق العالم، ولعل منطقة آسيا والمحيط الهادئ ستكون محل توترات تثيرها الولايات المتحدة الأمريكية سعيا منها للحد من الصعود الصيني وكبح التحالف الاستراتيجي المتنامي بين الصين وروسيا .

7 - ستكون هناك رؤى ومنظورات تخص الهندسة الجيوسياسية للمنافسة عليها بين القوى الكبرى في العالم، مما يخلق مراهنات على مناطق عدة في العالم.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

5. قائمة المراجع:

1 – باللغة العربية:

1 - الخيري، نوار محمد ربيع، (2014)، مبادئ الجيوبوليتيك، بغداد/ دمشق، دار ومكتبة عدنان وأفكار للدراسات والنشر ودار صفحات للدراسات والنشر.

2 - الشرقاوي، محمد، (2020)، التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيوليبيرالية، الجزء الثاني، سلسلة تقارير، مركز الجزيرة للدراسات، ص. 18.

3 - الشيخ، نورهان، (2011)، روسيا... الشريك الطبيعي للصين، مجلة السياسة الدولية، م. 46، ع. 183، ص. 93.

4 - الشيخ، نورهان، (2016)، روسيا من دور فاعل إلى دور قائد، مجلة السياسة الدولية، م. 51، ع 204، ص. 198.

5 - الشيخ، نورهان، (2019)، روسيا في معادلة التنافس الأمريكي – الصيني، مجلة السياسة الدولية، م. 54، ع. 218، ص ص. 124 – 126.

6 - النقر، علي السيد، (2009)، السياسة الخارجية للصين وعلاقاتها بالولايات المتحدة الأمريكية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

7 - إي. براون، مايكل وآخرون، (2010)، صعود الصين، ترجمة: مصطفى قاسم، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

8 - باسكاران، مانو، (2011)، الأزمة المالية العالمية وآثارها على الاقتصادات الناشئة، في: التطورات الاستراتيجية العالمية: رؤية استشرافية، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

9 - ستيرلنج جينسين، (2019)، عودة مناطق النفوذ إلى استراتيجيات القوى العظمى، مجلة اتجاهات الأحداث، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ع. 3، ص ص. 34 -35.

10 - ستيبانوفا، إيكاترينا، (2011)، الاتجاهات المستقبلية للتهديدات الأمنية العنيفة، في: التطورات الاستراتيجية العالمية: رؤية استشرافية، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

11 - شلبي، السيد أمين، (2005)، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

12 - عبد الحي، وليد سليم، (2010)، المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي: 1978 – 2010، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

13 - سليم، محمد السيد، (2011)، واقع ومستقبل التحالفات في آسيا، مجلة السياسة الدولية، م. 46، ع. 183، ص. 51.

14 - قنديل، حنان، (2011)، الصين واستمرارية الصعود السلمي، مجلة السياسة الدولية، م. 46، ع. 183، ص. 57.

15 - كمال، مصطفى، (2019)، جيوسياسية الطاقة .. النزاع الأمريكي – الصيني في بحر الصين الجنوبي، مجلة السياسة الدولية، م. 54، ع. 218، ص. 101.

2 – باللغة الأجنبية:

15 – Lukin, Artyom, How a Huge New Gas Pipeline Boosts Russia's Strategic Entente With China, Dec. 17, 2019, (20/06/2020), see the link: https://bit.ly/2E9MqIF

16 – Pavel, Barry, (2020), The Coronavirus Is Raising the Likelihood of Great-Power Conflict, June 1, 2020, (02/06/2020), see the link: https://bit.ly/2Qi2FFR

17 - Quinn, Shane, (2020), US tightens the noose on China as a result of coronavirus campaign, 16/03/2020, Portal Geopolitika.ru, platform for continuous monitoring of the geopolitical situation in the world, (20/04/2020), see the link: https://bit.ly/3ggSaxa

18 - R. G. Lyons, Michael, (2020), No, America Is Not Ready to Counter China and Russia in the Arctic, September 11, 2020, The National Interest, (12/09/2020), see the link: https://bit.ly/34diN23

19 – Rumerm, Eugene and others, (2020), Russia in the Asia-Pacific: Less Than Meets the Eye, September 03, 2020, (04/09/2020), The Carnegie Endowment for International Peace, see the link: https://bit.ly/3cK7eDe

20 - Sokolsky, Richard and Rumer, Eugene,(2020), U.S.-Russian Relations in 2030, June 15, 2020, the Carnegie Endowment for International Peace, (22/06/2020), see the link: https://bit.ly/2QfDW5b

21 – (2020), NATO navies and air forces exercise in the Baltic Sea, 07 Jun 2020, (12/06/2020), see the link: https://bit.ly/3goOppx

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)